الأسرة الأوربية
والدعائم التي تقوم عليها

تنص القوانين فى كثير من الأمم الأوربية على وجوب احترام حرمة المنزل الذى تملكه الأسرة وتسكنه ، فلا يجوز توقيع الحجز عليه ولا بيعه وفاء لدين . ولذلك التشريع مغزى كبير يدل على مبلغ تقدير الأوربيين للأسرة ورغبتهم فى صيانتها من التقلبات الاقتصادية التى قد توقع رب العائلة فى إفلاس أو فاقة . فالمنزل هو السياج المادى للاسرة يكنفها ويلمها ويقيها التشرد . ولكن هناك سياجا معنويا هو الروابط التى تحتمها التقاليد والقوانين . ففى بعض الأمم الأوربية — وخاصة تلك التى تدين بالمذهب الكاثوليكى — يكاد الطلاق أن يكون من المستحيلات التى لا يؤمل الزوج فى تحقيقها مهما تكن الأسباب . أو هو من الصعوبة بحيث يقارب المستحيل .

فالرجل فى أوربا يتزوج وهو يعلم أنه سيرتبط طول حياته بالمرأة التى اختارها. وهو لهذا السبب يعنى العناية الكبيرة باختيارها . وكذلك هى تعلم أنه لا سبيل الى الفكاك منه ، فلا تقدم على التزوج منه الا بعد أن تخبره وتتعرف أخلاقه. ومن هنا تلك الألفة التى نراها بين الخطيبين الأوربيين مدة الخطبة . فان كليهما يقدر متانة هذا الرباط الزوجى المنتظر ويقدر الصعوبة . بل أحيانا الاستحالة التى تعترض سبيل فصمه . فهو لا يتعجل الزواج . بل يتريث وينتظر ويراقب حتى يدرس أخلاق هذا الشريك الذى سوف تبقى شركته مدى الحياة. والاختلاط يكثر مدة الخطبة بين العائلتين والتزاور لا ينقطع ، فلا يتم زواج إلا وكل من الطرفين قد عرف الآخر كما عرف أهله وطول المدة التى يقضيها الخطيبان قبل الزواج وهما يترافقان ويتعارفان تتيح لكل منهما أسباب الوقوف على فضائل الآخر وعلى عيوبه ، فإذا كانت هذه العيوب بحيث يظن الشريك الآخر أنها لا تطاق فانه يقطع العلاقة الناشئة ويبحث عن شريك غيره .

وهذه العناية التى يبذلها الخطيبان تمحص أخلاقهما وتجعل رابطة الزواج بعد ذلك متينة صالحة للبقاء . وقل أن يتم زواج فى هذا الزمان بدون حب سابق . فلا آباء أن يرشدوا وينصحوا ولكن القرار النهائى سيظل أبدا للشاب والفتاة . وهما يهتديان فى ذلك بما يجده

كل منهما من حب للآخر . فاذا تم الزواج فلا بد من منزل مستقل يكون عشا للزوجية . و بعيد جدا أن نجد بيتا أور بيا تعيش فيه الحماة مع زوجة ابنها أو مع زوج ابنتها الا فى حالات شاذة أو ظروف خاصة تجعل استقلال الزوجين أمرا غير ميسور . فالمنزل المستقل اذن ضرورة محتومة للأسرة الأور بية

وقد أشرنا الى القوانين التى تحمى بيت العائلة وتقيه شر الحجز والبيع ، ولكن هذه القوانين ليست كل ما عمدت اليه الشعوب الراقية من وسائل الحماية . بل هناك أنواع أخرى منها . فإن الأور بى على وجه عام يتعصب بطبعه و بآدابه أشد التعصب للزواج بواحدة . وتعدد الزوجات عندهم جناية يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنتين أو أكثر . وفى الأمم البروتستانتية ، حيث الزواج المدنى هو الأغلب ، تسبق الطلاق دائما وسائل للصلح و مساع للتوفيق تشبه الوسائل والمساعى التى نص عليهما القرآن الشريف . والسبب الوحيد الذى يفصم به الرباط الزوجى فى جميع الأقطار الأور بية بصرف النظر عن مذاهبها هو الزنا . فاذا ثبتت هذه الجريمة فان المحكمة المدنية وكذلك الكنيسة تسلم بالطلاق . ولكن فى غير ذلك تحاول المحكمة ايجاد وسيلة للصلح بأن تمنح الزوجين حق الانفصال مدة ستة أشهر أو أكثر . فاذا تم الصلح بينهما فى هذه المدة فذاك واذا لم يتم حكم القاضى بالطلاق فى نهايتها .

ولهذا الارتباط المتين بين الزوجين أثره فى أعضاء العائلة كلها . فان الأولاد يرتبطون بأبويهم ويتأثرون بالألفة الدائمة بينهما حتى لايكاد أحدهم يشهد مشاجرة أو مشادة بينهما . وهناك عادات مألوفة قد صيرها العرف واجبا ، وهى تؤكد هذه المتانة برعاية يومية . فالزوج لا يغادر منزله قبل أن يقبل زوجته . وكذلك الأولاد لا يأوون إلى فراشهم قبل أن يقبلوا أبويهم . ولكل من الأبوين والأولاد عيد ميلاده الذى تحتفل به الأسرة كلها . وهذا اليوم هو يوم فرح عام لأعضاء الأسرة يتهادون فيه الهدايا ويذكرون فيه أطيب الأمانى .

وأور با على وجه عام بلاد باردة ، فلا يخلو فيها مسكن من موقد يجتمع أعضاء الأسرة حوله . وهذا الموقد يؤكد الرابطة العائلية . لأن البرد يحمل الجميع على أن يكتنوا . واجتماع أعضاء الأسرة حول الموقد يثير بينهم الحديث والمسامرة و يربط بينهم . حتى الأسر الفقيرة التى لا تستطيع الإنفاق الكثير على الوقود تجتمع فى المطبخ فتستمتع بدفئه وتطبخ على مواقده طعامها ، فكأن الطبيعة فى أور با وأمريكا تساعد على إحكام الرابطة العائلية .

والغربيون من حيث النظر إلى قداسة الزواج يختلفون بعض الشىء . ففى الأمم البروتستانتية يكثر الطلاق ، ولكنه يقل إلى ما يقارب العدم فى الأمم الكاثوليكية . وهم كذلك يختلفون فى النظر إلى التناسل . ففى حين نجد أن هولندا تعين الأطباء لإلقاء المحاضرات على الأمهات

لضبط التناسل وتحاشى الحمل نجد فى أقطار أخرى عقوبات على من يفعل ذلك من الأطباء أو غيرهم . وقد عنيت إيطاليا وألمانيا وفرنسا بأداء إعانات مالية للتشجيع على الزواج والتناسل . والنظام المتبع هو أن يمنح الزوجان يوم عرسهما نحو خمسين جنيها تعتبر دينا عليهما يجب أداؤه عند الميسرة ماداما لم يعقبا ، ولكن هذا الدين يسقط بعضه عند ولادة المولود الأول ويسقط الباقى منه عند كمال أربعة أولاد . على أن المظنون أن البواعث لهذه الحركات سياسية أكثر مما هى اجتماعية . وإن الغاية هى زيادة السكان باعتقاد أن هذه الزيادة قوة للجيش وقت الحرب . فيجب ألا نعلق أهمية كبيرة عليها لأن الأغلب أنها وقتية أو قريبة الزوال .

والغربيون — على وجه عام أيضا — ينظرون بعين الاهتمام بل القلق إلى زيادة الطلاق . وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وتعزى هذه الزيادة إلى استقلال المرأة وشعورها بقدرتها على الكسب . ولذلك تكثر المؤلفات التى يعنى فيها كاتبوها ببحث أسباب النفور والشقاق بين الأزواج . بل إن بعض الجامعات الأمريكية قد عنى أخيرا بدرس هذا الموضوع وتدريبه .

وللتلخيص نقول إن دعائم الأسرة الأوربية تنحصر فيما يلى :

١ — الزواج بواحدة .

٢ — صعوبة الطلاق أو استحالته .

٣ — العناية الكبيرة فى اختيار الزوج وإطالة مدة الخطبة مع الاختلاط بين الخطيبين .

٤ — تقاليد بيتية توثق الرابطة الزوجية .

٥ — اعتقاد الجميع أن الزواج لا يمكن أن يكون تجربة تنجح أو تخطئ .

٦ — المثل الصالحة التى يتلقاها الأولاد من الوالدين .

٧ — وسائل التسلية والترفية التى تحبب الحياة المترلية إلى الرجل .

٨ — الاحترام الذى تتمتع به المرأة فى نظر الرجل .

٩ — اعتبار الطلاق أو الانفصال حادثا غير طبيعى .